قصيدة للسموأل

كتب الاستاذ مرغوليوث في مجلة الجمعية الاسيوية الملكية يقول ان الدكتور هرشفلد نشر قصيدة اكتشفها في مكتبة كمبردج منسوبة الى السموأل ومكتوبة بحروف عبرانية . وقال ان السموأل هذا هو عين بطل تيماء الذي يضرب اليهِ الوفاء في امثال العرب ونسبت اليهِ بعض الاشعار في الاصمعيات وكتاب الحماسة . ولا غرابة في نسبة الاشعار اليهِ لان من عادة العرب ان ينسبوا الشعر الى كل ذي شأن حتى لقد نسبوهُ الى آدم جد البشر وقالوا انهُ رثى بهِ ابنهُ هابيل

اما القصيدة الفخرية التي مطلعها

اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضهُ فكل رداء يرتديهِ جميل

فقد نسبها ابن قتيبة الى دُكين والذي حمل غيرهُ على نسبتها الى السموأل هو قولهُ

لنا جبلٌ يحتلهُ من نجيرهُ منيع يردُّ الطرف وهو كليل

(قال في الحماسة ولكان هذا البيت نسبت القصيدة الى السموأل وظنَّ ان هذا الجبل هو حصن السموأل الذي يقال لهُ الابلق الفرد)[1] . ولهُ غير هذه القصيدة احد عشر بيتاً جمعها نولدكي وسبعة عشر بيتاً نشرها اهلورت في الاصمعيات قافيتها كلها التاء المضمومة الاَّ ان الاولى منها من بحر الوافر والثانية من الخفيف وقد استشهد الجاحظ ببيت مثلها في كتاب البيان والتبيين وهو من الكامل وذكر صاحب كتاب الف با بيتين منها برواية ثعلب وذكرها صاحب اللسان بروايتهِ واضاف اليها بيتاً ثالثاً (قال في مادة توت من لسان العرب وانشد ثعلب للسموأل بن عادياء

رُبَّ شتم سمعتهُ فتصامتْ وعيوبٍ تركتهُ فكُمِيتُ

ليت شعري واشعرنَّ اذا ما قرَّبوها منشورةً ودُعيتُ

أَلِيَ الفضل ام عليَّ اذا حو سبتُ اني على الحساب مقيتُ

اما القصيدة التي من بحر الوافر فمنها قولهُ

أعاذلتي ألا لا تعذليني فكم من امر عاذلة عصيتُ

وليت بادرع الكنديِّ اني اذا ما خان اقوام وفيتُ

(١) [المقتطف] كل ما هو بين قوسين اضفناهُ من عندنا

واوصى عاديا يومًا بان لا تهدّم يا سموأل ما بنيتُ
بنى لي عاديا حصنًا حصينًا وماءً كلّما شئتُ استقيتُ)

وفي هذه الابيات قصة ما جرى لهُ في امر الادرع التي اودعهُ اياها امرء القيس الكندي وان عادياء اباهُ على قول الاكثرين او جدهُ على قول ابن دريد بنى لهُ حصنًا وجهّز لهُ ماءً واوصاهُ ان لا يهدمهُ . وكل من يعرف هذه القصة يستطيع نظم هذه الابيات

والقصيدة الواردة في الاصمعيات دينيّة اعترف ناظمها بالمعاد وذكر اصل الانسان وفيها شيءٌ يدلُّ على ان ناظمها يهودي لانهُ جعل الثاء المثلثة تاء مثناة في بعض الكلمات فجعل "الخبيث" "الخبيت" على قافية دُعِيت ونسب صاحب لسان العرب ذلك الى لغة خيبر والبيت الواردة فيهِ الى رجل يهودي غير السموأل لان السموأل من تيماء لا من خيبر قال في مادة خبث الخبيث الحقير الرديء من الاشياء قال اليهوديّ الخيبري

ينفع الطيّب القليل من الزر ق ولا ينفع الكثير الخبيث

وسأل الخليل الاصمعيّ عن الخبيت في هذا البيت فقال لهُ اراد الخبيث وهي لغة خيبر) لكنهُ عاد فنسب الابيات الى السموأل (حيث قال في مادة خنث واخت الله حظهُ اخسهُ وهو خنيث قال السموأل

ليس يعطي القوي فضلاً من الما لِ ولا يُحرِم الضعيف الخنيثُ
بل لكلٍّ من رزقهِ ما قضى الله وان حزّ انفهُ المستميتُ)

ولعلّ الابيات نسبت اولاً الى يهودي ثم قيل انهُ السموأل

اما القصيدة التي اكتشفها الدكتور هرشفلد فلا ذكر لها في كتب العرب ولا شبهة في ان ناظمها يهودي ولا شيء فيها مما يدل على انها قديمة . وبعض شطورها من الطويل وبعضها من الكامل وبعضها لا وزن لهُ كأن ناظمها كان يجهل قوانين النظم ولئن ينظم احد شعرًا وهو يجهل قوانين النظم غريب في بابهِ ولكنهُ ليس منقطع النظير

وقصد الشاعر ان يفاخر رجلاً من المسلمين انتقص اليهود فخاطبهُ مفاخرًا وذاكرًا بعض الاسماء والالقاب كما وردت في القرآن كالخليل اي ابرهيم والذبيح اي اسحق والكليم اي موسى ... فنظم هذه القصيدة ونسبها الى السموأل لكي يكون لها وقع عند قارئها لكنهُ اسقط حجتهُ بقلة معرفتهِ لقوانين النظم فجاء شعرهُ هزءًا وسخرية ومثلهُ مثل الذين زوّروا البراءات زاعمين ان النبي كتبها لليهود والنصارى واشهدوا فيها اناسًا كانوا قد ماتوا وقتما كتبت او لم يكونوا قد اسلموا بعدُ . ويستحيل على السموأل ان يخلط بين الكامل والطويل في قصيدة

واحدة ولذلك لم تشع هذه الابيات كما اراد ناظمها فبقيت من المهملات

(ثم اورد الاستاذ مرغوليوث نص القصيدة بحروف عربية ناقلاً ذلك عن الدكتور هرشفلد وترجم ابياتها الى الانكليزية . ويظهر لنا ان الكاتب الذي كتبها بحروف عبرانية اخطأ قراءتها في اصلها العربي فاخطأ في كتابتها او حفظها خطأً ثم كتبها من حفظه او اضاف اليها ابياتاً سخيفة من عنده لا تنطبق على وزن لان بعض ابياتها صحيح وبعضها يسهل جدًّا اكتشاف التحريف فيه ولا يعقل ان ناظمًا يستطيع نظم ابياتها الصحيحة ينظم ايضاً ابياتها المغلوطة لفظاً ووزناً عدا ما فيها من السخافة المعنوية . وهاك بعض ابياتها كما اوردها الاستاذ مرغوليوث وكما نظن انها كانت قبلما حرفها الكاتب وهذا لا يعني عنها انها من الشعر الركيك

الابيات كما اوردها الاستاذ مرغوليوث	صحتها على ما نظن
١ ألا ايها الصف الذي عاب سادتي	١ ألا ايها الضيف الذي عاب سادتي
أسمع جوابي لست عنك بغافل	ألا أسمع جوابي لست عنك بغافل
٢ وهذا ذبيح قد فداهُ بكبشهِ	٢ وهذا ذبيح قد فداهُ بكبشهِ
براهُ بديا لانتاج الشاغل	براهُ بديعاً لا نتاج الشاغل
٣ وهذا رئيس اصطفاهُ وخصهُ	٣ وهذا رئيس فاصطفاهُ وخصهُ
واسماهُ اسرائيل بكر الاوائل	وسماهُ اسرائيل بكر الاوائل
٤ انست لفخر يترك القلب مولعاً	٤ ألا انست لفخر يترك القلب مولعاً
ويشب نارًا في الضلوع الدواخل	ويشب نارًا في الضلوع الدواخل

اما الابيات التي نظن انها اصيلة ولم يقع فيها الا تحريف قليل فهي فقوله

فهذا خليل صيّر النار حولهُ رياحين جنات القصون الذوابل
السنا بني مصر المكلة التي لنا ضربت مصر بعشر متاكل
السنا بني السلوى مع المن والذي لنا فجر الصوان عذب المناهل
على عدد الاسباط تجري عيونها فراتاً زلالاً طعمهُ غير حائل
وقد مكثوا في البر عمرًا مجددًا يغذيهم الباري بخير المآكل
السنا بني الطور المقدس والذي تدخذخ للجبار يوم الزلازل

ومهما يكن من امرها فهي حديثة كما قال الاستاذ مرغوليوث نظمها احد الاسرائيليين وتناقلها الحفاظ فزادوا فيها وحرفوها وناظم " اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضهُ " بريء منها